العدد
37

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إسْلَامِيَّةٌ - ثَقافِيَّةٌ -جَامِعِةٌ- مُحَكَّمَةٌ
تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد
37

1445هـ 2023م

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

- دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات.
- لفظ الفرح في القرآن الكريم دلالاته وأسراره البلاغية.
- لباس المرأة المسلمة وضوابطه في الشريعة الإسلامية.
- الضوابط القانونية وأثرها في الالتزام باللباس الشرعي.
- ظاهرة عزوف الشباب عن ارتداء اللباس الشرعي.
- البعد المقاصدي للباس في الفقه المالكي.

1445هجرية الموافق 2023ميلادية

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL
Vol. thirty seven
2023

الأُسر العلميّة الليبية

وأثرها في خدمة المذهب المالكي في القرن العاشر الهجري

(أُسْرة الحطّاب أنموذجًا)

أ.محمد صالح سالم المقرحي
ماجستير دراسات إسلامية – جامعة بنغازي

ملخص البحث:

يُعدّ اسم الحطّاب من الأسماء التي لمعت في أفق المذهب المالكي، وما ذاك إلا لاشتغال أفراد هذه الأسرة بالعلم، ونبوغهم فيه، وتركهم مكتبة علمية واسعة في خدمة التراث الإسلامي عامة، والمذهب المالكي خاصة، إذ قلّما يخلو مصنف من مصنفات الفقهاء المالكية المتأخرين من ذكرٍ لأحد أسرة الحطّاب، ولعلّ أبرز علماء هذه الأسرة وأكثرهم شهرة هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن، المعروف بالحطّاب الصغير، وهو صاحب كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ولما كانت هذه الأسرة فيها غير عالم من العلماء الأفذاذ، الذين لهم قدم راسخة في العلم، جاء هذا البحث ليعرّف ببقية أفراد هذه الأسرة التي تنتمي للقطر الليبي، ويبرز آثارها في خدمة المذهب المالكي، وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، فالمبحث الأول: فيه تعريف بأبرز علماء الأسرة الحطّابية، أما المبحث الثاني: فهو لذكر آثار الأسرة الحطّابية في خدمة المذهب المالكي، ويُرجى من هذا البحث أن يُعرّف بجهود أسرة ليبية عُرفت بالعلم، وسعت لنشره، وقدّمت خدمة

عظيمة للمذهب المالكي، بما ترك أفرادها من مصنفات فقهية لا يزال طلبة الفقه المالكي ينهلون من معينها إلى يوم الناس هذا.

Research Summary

The name of al-hattab is one of the names that shined on the horizon of the maliki school and this is only because the members of this family were preoccupied with science and their brilliance in it and left them a vast scientific library in the service of the Islamic heritage in general and the maliki school in particular as hardly a compilation of the works of the late maliki jurists is devoid of any mention of anyon. The al-hattab family and perhaps the most prominent and most famous scholar of this family is Muhammad bin Muhammad bin abdul rahman known as al-hattab al-saghir. This research came to know the rest of the members of this family that belongs to the Libyan country and highlights its effects in the service of the maliki doctrine and the nature of the research required dividing it into an introduction two chapters and a conclusion al-hattabiya is in the service of the maliki school of thought and it is hoped that this research should know the efforts of a Libyan family that was known about science sought to spread it and provided a great service to the maliki school by leaving its members from the works of the maliki school of jurisprudence still neglecting its specific to this day people.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الناس من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، وجعل الكرامة عنده لأهل التقوى، والصلاة والسلام على نبينا محمد الرسول المجتبى، وعلى آل بيته الذين شرفهم، وعلمهم، فكانوا سادة الورى، أفضل الأسر على الإطلاق، وأولاهم بالعلم والأخلاق، وعلى صحبه والتابعين ومن بهديهم اهتدى.

أما بعد:

فيعدّ المذهب المالكي من المذاهب الفقهية المعتمدة عند جماهير المسلمين، قديما وحديثا، حيث يُنسب هذا المذهب لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهذا المذهب من أقدم المذاهب الفقهية نشأة، وأوسعها انتشارًا، فقد اتبعه جماعات من أهل العلم في أقطار شتى، ومنها المغرب العربي، فهو المذهب المعتمد في ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، إلى يوم الناس هذا، وقد قام بهذا المذهب علماء أفذاذ، لهم باع في العلم، صنفوا فيه المصنفات، ودونوا الدواوين، وشرحوا أُمَّات المذهب، ومن نِعم الله على بعض أهل العلم، أن يصطفي أبناءهم وأحفادهم، يرثونهم في العلم والفضل، كما ورث سليمان داوود في العلم والنبوة، ومن الأُسر العلمية التي ورث فيها العلماء آباءهم وأجدادهم في العلم أُسرة الحطّاب الليبية، فقد ورث فيها الأبناء علم الآباء والأجداد، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذه الأسرة، وما قامت به من جهود جبارة في خدمة المذهب المالكي، وحيث إن هذه الأسرة من القطر الليبي كان عنوان البحث "**الأسر العلمية الليبية وأثرها في خدمة المذهب المالكي في القرن العاشر الهجري (أسرة الحطّاب أنموذجا)**".

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- بيان الجهود التي قام بها علماء ليبيا في خدمة المذهب المالكي.
- تسليط الضوء على أسرة ليبية كان لها أثر عظيم في خدمة المذهب المالكي.

- إبراز الآثار العلمية الليبية التي أثْرت المكتبة المالكية بمصنفات نافعة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة للتعريف بأسرة علمية برزت في القرن العاشر الهجري، وتنتمي هذه الأسرة للقطر الليبي، وبيان الجهود التي قام بها أفرادها في خدمة المذهب المالكي، من تأليف، وشرح، وإثراء لمكتبة الفقه المالكي، وما تركوه من آثار علمية.

مشكلة الدراسة

يمكن عرض مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

- مَن أبرز علماء الأسرة الحطّابية في القرن العاشر الهجري؟ وما هي جهود هذه الأسرة في خدمة المذهب المالكي؟

منهج البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يتبع الباحث المنهج التاريخي التوثقي، والمنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة

من الدراسات التي لها صلة بموضوع البحث:

- جهود الإمام الحطّاب في إثراء المذهب المالكي، رافع عبد الهادي الصغير الترجمان، جامعة مصراتة، كلية القانون، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد خاص 2 (2019م)، وتختلف دراستي عن هذه الدراسة في أن دراستي أوسع مجالا، فقد اقتصرت تلك الدراسة على إبراز جهود أحد أفراد أسرة الحطّاب، وهو المعروف بالحطّاب الصغير، أما دراستي فهي عامة لأسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري.
- دور علماء ليبيا في نشر المذهب المالكي من القرن العاشر إلى بدايات القرن الخامس عشر الهجري، انتصار المهدي التومي، جامعة طرابلس، كلية التربية، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد خاص 2 (2019م)، وأيضا هذه

الدراسة لم تستوعب الأسرة الحطّابية، حيث اقتصرت على ذكر الحطّاب الصغير، ويحي الحطّاب، وأغفلت ذكر بقية الأسرة الحطّابية.

وفي الجملة لم أجد مَنْ أَفْرَد هذه الأسرة بالبحث، وأَبرَزَ آثارها وجهودها في خدمة المذهب المالكي.

خطة البحث

جاء هذا البحث في مقدمة ، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة للمصادر المستخدمة في البحث، وذلك كما يلي:

- **المقدمة**: تناول الباحث فيها مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- **المبحث الأول**- أبرز علماء أسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري، وتحته أربعة مطالب:
  - **المطلب الأول**-محمد بن عبد الرحمن الحطّاب (الكبير).
  - **المطلب الثاني**- محمد بن محمد الحطّاب (الحطّاب الصغير).
  - **المطلب الثالث**- بركات بن محمد الحطّاب.
  - **المطلب الرابع**- يحي بن محمد بن محمد الحطّاب.
- **المبحث الثاني**- الآثار العلمية لأسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري، وتحته أربعة مطالب:
  - **المطلب الأول**- كتاب مواهب الجليل شرح مختصر خليل.
  - **المطلب الثاني**- كتاب تحرير الكلام في مسائل الالتزام.
  - **المطلب الثالث**- كتاب القول الواضح في بيان الجوائح.
  - **المطلب الرابع**- كتاب إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج.
- **الخاتمة**: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول- أبرز علماء أسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري:

ترجع أصول أسرة الحطّاب إلى الأندلس، وهي من الأسر التي هاجرت إلى المغرب بعد سقوط الأندلس في أيدي الصليبيين، واستوطنت طرابلس الغرب، حيث وُلد لهذه الأسرة في طرابلس الغرب ذُرِّيَّةً ونشؤوا فيها، وتعلموا على أيدي علمائها، فنسبوا إليها، وتعدّ أسرة الحطّاب من الأسر التي اشتهرت بالعلم والفضل، فقد برزت في هذه الأسرة أسماء لامعة، لها باع في العلم والفقه، ولما كان هذا المبحث مخصصا للحديث عن أبرز علماء هذه الأسرة في القرن العاشر الهجري، فإني سأذكر أبرز علمائها حسب الترتيب الزمني، متحدثا بإيجاز عن كل منهم، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول- محمد بن عبد الرحمن الحطّاب (الكبير):

الفرع الأول- اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد، أبو عبد الله الرعيني، الأندلسي الأصل، المالكي، نزل مكة، وسكنها، يُعرف بالرعيني، تمييزا له عن شقيق له أكبر منه، اسمه محمد أيضاً، والذي كان يُعرف بالحطّاب، وأما في مكة، فعُرِف بالطرابلسي، ولُقِّب بالحطّاب الكبير، تمييزا له عن ابنه محمد الحطّاب، شارح خليل[1].

الفرع الثاني- مولده ونشأته:

ذكر السخاوي[2] رحمه الله أنـــــه: "ولد وقت صلاة الجمعة من العُشر الأخير من صفر، سنة إحدى وستين وثمانمائة بطرابلس،

(1) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، 7/ 288.

(2) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، السخاوي الأصل، القاهري المولد، الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد سنة 831هـ، بالقاهرة، له مصنفات منها: الضوء اللامع، في أخبار أهل القرن التاسع، وذكر لنفسه فيه ترجمة على عادة المحدثين، وذكر فيها شيوخه، ومن أخذ عنهم، ومن تأليفه أيضا: كتاب سماه: "الجواهر المكللة، بالأحاديث المسلسلة" ، وكتاب "المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة" ، توفي سنة 902هـ. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للغزي، 1/ 53.

ونشأ بها " [1]، أقام في طرابلس مدّة من الزمن، وفيها بدأ تحصيله للعلوم ثم: "تحوّل مع أبويه وإخوته وجماعتهم إلى مكة، سنة سبع وسبعين، فحجّوا ثم رجعوا وَقد توفي بعضهم إلى القاهرة، فأقاموا بها سنين، ومات كلّ من أبويه في أسبوع واحد، في ذي الحجة، سنة إحدى وثمانين بالطاعون، واستمرّ هو وأخوه بها إلى أن عاد لمكة في موسم سنة أربع وثمانين، فحجّا، ثم جاورا بالمدينة النبوية، وعاد الأخ بعد حجّه فيها إلى بلاده [أي عاد أخوه، وهو المعروف بالحطّاب في سنة أربع وثمانين إلى بلاده]"[2].

الفرع الثالث- حياته العلمية:

نشأ محمد الرعيني نشأة علمية على أيدي كبار علماء عصره، فحفظ القرآن وبعض المتون العلمية كالرائية، والخرازية في الرسم والضبط، ثم متن الرسالة في الفقه المالكي، ثم تعلّم العربية، ثم تدرج في العلوم حتى بلغ الغاية، وتكرر اجتماعه بالسخاوي فِي سنة أَربع وَتِسْعين وَقبلها ، وَسمع منه، وجلس للإقراء فِي الْفِقْه والعربية وَغَيرهمَا، وَولي مشيخة رِبَاط الْمُوفق[3].

الفرع الرابع- شيوخه:

أخذ العلم عن نخبة من علماء عصره، وفقهاء وقته، نهل من معينهم العلم، وأفاد منهم، ولعلّ من أبرز شيوخه: "عبد المعطي بن خصيب[4]، وعلي السنهوري، ويحي العلمي، ومحمد السخاوي قاضي المدينة، والشيخ زروق، وغيرهم، ذكر ذلك ولده محمد الحطّاب"[5]، ومن شيوخه الذين ذكرهم السخاوي:

(1) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 7/ 288.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) هو عبد المعطي بن خصيب المحمدي، نسبة لقبيلة بالمغرب التونسي، أخذ عن أبي القاسم المصمودي، والتقي الفاسي، وحضر درسَي أحمد ومحمد القلشانيين، وعنه أخذ الشيخ محمّد الحطّاب الكبير، وغيره، ولم يُذْكر تاريخ وفاته. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، 1/ 375.

(5) أعلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي، ص371.

الشمس العوفي[1] قرأ عليه في العربية، ومحمد القابسي، تفقّه عليه في الرسالة، والسراج المعمر، قرأ عليه في الفقه، وموسى الحاجبي، وقد لازمه وأفاد منه، وموسى المراكشي قرأ عليه القرآن، والشهاب بن حاتم، وغيرهم[2].

الفرع الخامس- تلاميذه:

تفقّـه على الحطّاب الكبير جماعة من أهل العلم، أبرزهم أبناؤه: محمد الحطّاب الصغير، وبركات بن محمد، ومحمد بن أحمد اليَسِّيتني[3]، وغيرهم[4].

الفرع السادس- وفاته:

بعد حياة عامرة بالعلم والتعليم، فاضت روح الحطّاب الكبير إلى باريها في شعبان، عام خمس وأربعين وتسعمائة، وله من العمر أربعة وثمانون عامًا، رحمه الله وغفر له[5].

المطلب الثاني-محمد بن محمد الحطّاب (الحطّاب الصغير):

الفرع الأول- اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرعيني، وهو ابن الحطّاب الكبير، الذي سبقت ترجمته.

(1) هو محمد بن محمد بن عبد الله الشمس العوفي، يعرف بالعوفي لكون والده تزوج فيهم، ويقال له أيضا: ابن المسكين، وهو بها أشهر، أخذ الفقه وغيره عن أبي الفرج الكازروني، وقرأ على أبي الفتح المراغي بمكة شرحه على المنهاج، مات بالمدينة في الحريق الشهير، سنة 886هـ. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 9/ 129.

(2) المصدر نفسه، 7/ 288.

(3) هو محمد بن أحمد اليسيتني، بفتح الياء وكسر السين المشدَّدة، نسبة لقبيلة، أخذ عن أئمة، كابن غازي، ويحيى السوسي، وأبي العباس الزقاق، له تآليف، منها: جزء على التاجوري في قِبلة فاس، وشرح مختصر خليل، وصل فيه النواقض، مات سنة 959هـ. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/ 409.

(4) المصدر نفسه، 1/ 389، وص 409.

(5) المصدر نفسه.

الفرع الثاني- مولده ونشأته:

ولد واستقر في مكّة، ونشأ فيها، وتفقه على والده وعلى علماء عصره، وكانت نشأته في بيت علم وفضل.

الفرع الثالث- حياته العلمية:

حفظ القرآن، وما شاء الله من متون العلم، وبرع في الفقه حتى كان من سادات الورى، ومن أعلم أهل عصره بالفقه المالكي، أخذ الفقه عن والده، وغيره من العلماء، وروى عن حفاظ زمانه، وبرع في عدة علوم، قال التنبكتي[1] في معرض ترجمته للحطّاب، بعد وصفه بالإمامة: "كان من سادات العلماء، وسراتهم[2]، جامعًا فنون العلم، متقنًا، محصِّلًا، متفننًا، نقادًا، عارفًا بالتفسير ووجوهه، محققًا في الفقه وأصوله، عارفًا بمسائله، مقتدرًا على استنباطه، يقيس على المنصوص غيره، حافظًا كبيرًا للحديث، وعلومه، محيطًا باللغة وغريبها، عالمًا بالنحو، والتصريف، فرضيًا حسابيًا معدلًا محققًا لها، له الإمامة المطلقة في ذلك، جامعًا لسائر الفنون"[3].

الفرع الرابع- شيوخه:

كان الحطّاب يتميز بصفاء الذهن، وجودة القريحة، وعلو الهمة، فقد لازم علماء نجباء أفاد من علمهم؛ بل قد فاق جُلّهم، ومن هؤلاء العلماء الذين تفقه بهم، والده محمد الحطّاب الكبير، وهو أول شيوخه، وأكثرهم تأثيرًا في شخصيته؛ إذ تلقى عنه منذ نعومة أظفاره العلم والآداب، واتبع سيرته في مسيرته، ثم أخذ عن علماء

(1) هو أحمد بابا بن أحمد التنبكتي السوداني، مؤرخ، من أهل تنبكت في إفريقية الغربية، أصله من صنهاجة، من بيت علم وصلاح، كان عالما بالحديث، والفقه، له تصانيف منها: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، في تراجم المالكية، وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، مات في تنبكت، سنة 1036هـ. الأعلام، للزركلي، 1/ 102.

(2) "السّرى: الرّفْع في كَلَام العرب، ومعنى سَرُوَ الرجل يَسرُو، أَي: ارْتفع يرْتَع فَهُوَ رفيع"، تهذيب اللغة، للأزهري، 13/ 38، باب السين والراء.

(3) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي، ص592.

عصره، وفقهاء دهره، ولعلّ من أبرزهم، العارف بالله محمد بن عراق[1]، والعلامة أحمد بن عبد الغفار، وروى العلم عن حفاظ عصره، ومنهم الشيخ عبد القادر النويري، وابن عمه المحب أحمد بن أبي القاسم النويري، والبرهان القلقشندي، والعز عبد العزيز بن فهد، والجمال الصاني، وعبد الرحمن القابوني، وغيرهم، وأجازوه[2].

الفرع الخامس- تلاميذه:

تفقه بالعلامة الحطّاب الصغير جمع من العلماء، نهلوا من معين علمه، وبرعوا في العلم، ولعل من أبرز تلاميذه ولده العلامة يحي الحطّاب، والشيخ عبد الرحمن التاجوري، والشيخ محمد القيسي، والشيخ محمد الفلاني، وغيرهم من العلماء الأجلاء[3].

الفرع السادس- وفاته:

بعد مسيرة حافلة بالعطاء والعلم قضى العلامة الحطّاب نحبه، في ربيع الآخر عام أربعة وخمسين وتسعمائة، وله من العمر اثنان وخسمون عاما، رحمه الله وغفر له.

المطلب الثالث - بركات بن محمد الحطّاب:

الفرع الأول- اسمه ونسبه:

هو بركات بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرعيني، وهو ابن الحطّاب الكبير، وأخوه محمد الحطّاب الصغير الذي سبقت ترجمته.

(1) هو محمد بن علي بن عبد الرحمن، ولد سنة 898هـ، كان من أولاد الأمراء، ومن طائفة الجند، وكان صاحب مال عظيم، ثم ترك الكُلّ، واشتغل بالعلم، مات سنة 933هـ. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 1/ 59.

(2) المصدر نفسه.

(3) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي، ص593.

الفرع الثاني- مولده ونشأته:

ولد في مكة وبها نشأ، وكان كأخيه في علوّ الهمة وطلب العلم، حيث نشأ في كنف أبيه الحطّاب الكبير، وعنه تلقى العلم والأدب، وسار سيرة أسرته، ونبغ نبوغهم، واقتفى آثارهم، ففتح الله له من العلم ما فتح لهم.

الفرع الثالث- حياته العلمية:

نشأ بركات في كنف أبيه نشأة علمية، حيث حفظ القرآن الكريم، وأخذ عنه أصول العلم، والفقه المالكي، حتى مهر وبرع، وصار من فقهاء المالكية المشهورين بالعلم، وخدم المذهب المالكي بمؤلفاته، وبالعلم الذي نشره بين تلاميذه.

الفرع الرابع- شيوخه:

أخذ الشيخ بركات العلم عن والده محمد الحطّاب الكبير، جاء في ترجمته، في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية أنه: "أخذ عن والده وغيره"[1]، ومن شيوخه الذين تلقى عنهم العلم أخوه محمد الحطّاب الصغير، قال الزرقاني: "الشيخ بركات هذا هو شقيق (ح)[2] شارح المتن، وتلميذه، كما رأيته بخط الشيخ بركات المذكور"[3].

الفرع الخامس- تلاميذه:

أخذ عن الشيخ بركات جمع من أهل العلم، أبرزهم ابن أخيه، يحي بن محمد، ووالد الشيخ أحمد بابا، قال صاحب شجرة النور الزكية في ترجمة بركات: أخذ "عنه جماعة منهم ابن أخيه يحي بن محمد الحطّاب، ووالد الشيخ أحمد بابا بالإجازة"[4].

(1) 1/ 404.

(2) يقصد المؤلف بحرف (ح)، الحطّاب الصغير، كما ذكر ذلك في مصطلحاته، بقوله: "مشيرًا بصورة (ز) للزرقاني، وبـ(خش) للخرشي، و(ح) للحطاب". شرح الزرقاني على مختصر خليل، للزرقاني، 1/ 6.

(3) شرح الزرقاني على مختصر خليل، 1/ 146.

(4) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/ 404.

الفرع السادس- وفاته:

كان الشيخ بركات من المعمرين، فقد جاء في ترجمته أنه عاش طويلا، قال التنبكتي: "توفي بعد الثمانين وتسعمائة عن عمر عال"[1]، رحمه الله وغفر له.

المطلب الرابع- يحي بن محمد الحطّاب:

الفرع الأول- اسمه ونسبه:

هو يحي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني الحطّاب، أبوه محمد الحطّاب الصغير، وجدّه محمد الحطّاب الكبير، وعمه بركات بن محمد.

الفرع الثاني- مولده ونشأته:

ولد الشيخ يحي الحطّاب بمكة المكرمة، ونشأ بها في بيت علم وفضل، فوالده وعمه وجدّه من كبار فقهاء المالكية، وممن خدموا المذهب المالكي، وصنفوا فيه المصنفات، فنشأ الشيخ يحي متأثرا ببيئته، حتى كان من فقهاء المالكية المبرزين، والمشهود لهم بالعلم والفضل والإمامة، وكان معروفا بالصلاح والدين المتين، فقد جمع بين حسن العلم، وحسن العمل؛ فكان عالمًا عاملًا ورعًا فقيهًا.

الفرع الثالث- حياته العلمية:

أخذ الشيخ يحي العلم على والده وعمه، فحفظ القرآن، وتفقه على المذهب المالكي، وبرع في الحساب، والعروض، وصنف فيها المصنفات، قال التنبكتي في ترجمته: "له تآليف في الفقه، والمناسك، والحساب، والعروض، وغيرها"[2]، ففي بيت علم نشأ، وفيه ترعرع، وفيه كانت بداية طلبه للعلم.

(1) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص150.

(2) المصدر نفسه ، ص639.

الفرع الرابع- شيوخه:

تلقى الشيخ يحي الحطّاب العلم عن جمع من أهل العلم، أبرزهم: والده الشيخ محمد الحطّاب الصغير، وعمه بركات بن محمد الحطّاب، قال صاحب شجرة النور الزكية: "أخذ عن والده وعمه بركات وغيرهما"[1].

الفرع الخامس- تلاميذه:

أخذ العلم عن الشيخ يحي الحطّاب جمع من أهل العلم، ومن أبرزهم أبو مسعود القسطلاني، والشيخ أحمد بابا، وغيرهما من أهل العلم، قال صاحب شجرة النور الزكية: أخذ "عنه أبو مسعود القسطلاني المكي، والشيخ أحمد بابا إجازة عامة وغيرهما"[2].

الفرع السادس- وفاته:

لم أظفر في كتب التراجم على تحديد سنة وفاته، ولكن ذكرت كتب التراجم أن وفاته كانت في نهاية القرن العاشر الهجري، كما قال التنبكتي في ترجمته له: "توفي بعد ثلاث وتسعين وتسعمائة"[3].

وختاما فمن سبقت ترجمته من العلماء هم من أسرة الحطّاب، الأسرة العلمية الليبية، التي كان لها دور بارز في خدمة المذهب المالكي، وفي نشره، والتصنيف فيه، وخير ما يدل على خدمتهم للمذهب المالكي، ما تركوه من مصنفات أفاد منها أهل العلم في عصرهم، وبعد عصرهم، وإلى عصرنا هذا، ولمعرفة ما تركوه من آثار علمية في خدمة المذهب المالكي، ينتقل بنا البحث إلى مبحثه الثاني، لإبراز شيء من هذه الآثار العلمية.

(1) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/ 404.

(2) الموضع نفسه.

(3) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص639.

المبحث الثاني – الآثار العلمية لأسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري

لقد تركت أسرة الحطّاب تراثًا علميًا ضخمًا في خدمة المذهب المالكي؛ بل إن بعض هذه المصنفات لتُعدّ عمدةً في الفقه المالكي، لِمن جاء بعدهم من الفقهاء المالكية، ويتعرّض هذا المبحث لبيان أبرز المصنفات التي تركها أفراد هذه الأسرة، مع الحديث عن شيء من هذه المصنفات.

المطلب الأول – كتاب "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل":

مؤلِّف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطّاب، المعروف بالحطّاب الصغير، وكتابه هذا كتاب فقهي، شرح فيه مصنّفه (مختصر العلامة خليل بن إسحاق المالكي)، ولعلّه من أفضل شروح المختصر وأوفاها، فإنّ مصنّفه قرأ الشروح قبله، ولمّا لم يجد فيها شرحًا كافيًا وافيًا، تصدى هو لهذا العمل، وفي ذلك يقول: "بَقِيَت فيه مواضع إلى الآن مغلقة، ومسائل كثيرة مطلقة، وكنت في حال القراءة والمطالعة جمعت من ذلك مواضع عديدة، مع فروع مناسبات وتتمات مفيدة، فحصل منها جملة مستكثرة، في أوراق مفرقة منتشرة"[1]، ثم شرع في شرح المختصر، متكلّما على جميع مسائله، مقيدًا ما احتاج إلى تقييد، مع ذكر غالب الأقوال، وعزوها وتقييدها، ونبّه على ما حصل من نقص في شروح سبقت شرحه، قال في ذلك: "استخرت الله تعالى في شرح جميع الكتاب، والتكلم على جميع مسائله، مع ذكر ما تحتاج إليه كل مسألة من تقييدات، وفروع مناسبة، وتتمات مفيدة، من ضبط وغيره، ومع ذكر غالب الأقوال، وعزوها، وتوجيهها غالبا، والتنبيه على ما في كلام الشروح التي وقفت عليها لهذا الكتاب"[2].

ويتجلى منهج المصنف في أنه استهلّ كتابه بمقدمة، ذكر فيها فضل مختصر خليل، وأنه من أجَلِّ المختصرات في مذهب الإمام مالك، ومن أرفعها قدرًا؛ حيث قال عن المختصر: "هو كتابٌ صَغُر حجمه، وكثر علمه، وجمع فأوعى، ووفاق أضرابه

(1) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب الصغير، 1/ 3.

(2) المصدر نفسه.

جنسًا ونوعًا، واختص بتبيين ما به الفتوى، وما هو الأرجح والأقوى، ولم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله"[1]، ثم ذكر أن المختصر لفرط الإيجاز صار كالألغاز، ثم ذكر من تصدى لشرح المختصر، وما انتقده على الشرح من نقص أو خلل، وأنه يميل في شرحه إلى البسط والبيان والإيضاح، وأنه عند ذكره لنقول مختلفة؛ يذكر حاصل النقول بعدها، ثم ذكر بعد ذلك سنده الفقهي إلى الإمام مالك -رحمه الله- ثم إلى رسول الله ﷺ، ثم ذكر سند الكتاب وشروحه، ثم ابتدأ شرح المختصر، ابتداء بشرح البسملة، متتبعا أبوابه بابًا بابًا، ومسائله مسألة مسألة، ويتَّسِم شرحه بالبيان والإيضاح، وكثرة الفوائد، والحرص على ضبط الألفاظ، وذكر معناها في اللغة والاصطلاح، مع رجوعه في كلّ فنّ لأهله، ومن سمات شرحه أيضًا أنه يستدل بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ويرجح بين الأقوال المختلفة، ومن سماته أنه ينقل من كتب تُعدّ مفقودة، أو في حكم المفقودة، أو أنها لا تزال مخطوطة لم تطلها يد التحقيق.

ويُعدّ كتاب مواهب الجليل من أجَلّ شروح مختصر خليل، وأكثرها فائدة، قال التنبكتي عن الكتاب: "لم يؤلف على خليل مثله في الجمع والتحصيل بالنسبة لأوائله والحج منه، استدرك فيه أشياء على خليل وشُرّاحه، وابن عرفة، وشرّاح ابن الحاجب، وغيرهم"[2]، وكلّ من شرح خليل بعد الحطّاب عالة عليه، كالزرقاني، والخرشي، وعِلّيش، وغيرهم. ومن عناية العلماء بهذا الشرح وضع المختصرات عليه، كمختصر العلامة ميّارة الفاسي المسمى "زبدة الأوطاب وشفاء العليل في اختصار شرح الحطّاب لمختصر الشيخ خليل"، وقد طُبِع "مواهب الجليل" لأول مرة بمطبعة السعادة بالقاهرة، سنة (1328هـ)، الموافق (1910م)، ثم توالت طبعاته بعد ذلك، ولو لم يترك الحطّاب من الآثار العلمية إلا هذا الكتاب لكان أسدى

(1)مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 1/ 2.

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص592.

خدمة عظيمة للمذهب المالكي، كيف وقد أتبعه بمصنفات أخرى لا تَقِلّ عنه أهمية؟!

المطلب الثاني- كتاب "تحرير الكلام في مسائل الالتزام":

مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطّاب، وهو الحطّاب الصغير، وكتابه هذا عظيم النفع في المذهب المالكي، وهو من مبتكرات الحطّاب، حيث لم يُسبق إليه، قال التنبكتي عن الحطّاب إنّه: "ألّف في مسائل إلزام الإنسان نفسه معروفًا، سمّاه "تحرير الكلام في مسائل الالتزام"، حسن في نوعه، لم يُسبق إليه"[1]، والذي دعا الحطّاب إلى وضع هذا الكتاب هو أنه لم يجد مصنفًا جُمعت فيه مسائل هذا الباب، قال في مقدمة كتابه: "شاع عن مذهب الإمام مالك -رضي الله عنه- الحكم بالالتزام، وكثر السؤال عن ذلك عند التشاجر والخصام، ولم يكن له في كتب أهل المذهب باب ولا فصل مقرر، ولا علمت فيه مصنفاً يؤخذ حكمه منه ويُحرّر؛ بل مسائله متفرقة في الكتب والأبواب"[2]. فانبرى الحطّاب -رحمه الله- لجمع هذه المسائل بعد استخارة مولاه سبحانه، قال: "استخرت الله تعالى في جمع ما تيسر من مسائله، وضبط أقسامه، وتبيين مشكله، وتحرير أحكامه، بحسب ما أدى إليه فهم الفاتر، وعلم القاصر"[3].

أما منهجه في تصنيف الكتاب، فهو أنه قسّم كتابه إلى مقدمة، وأربعة أبواب ، وخاتمة. فذكر في مقدمته معنى الالتزام لغة واصطلاحا، وبيّن أركانه، وشروط كل ركن، وتطرّق في الباب الأول: للالتزام الذي ليس بمعلق، وفي الباب الثاني: تكلم عن الالتزام المعلق على فعل الملتزم، أماالباب الثالث: فقد جعل الحديث فيه عن الالتزام المعلق على فعل الملتزم له، وفي آخر أبوابه: تحدث عن

(1)نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص593.

(2) تحرير الكلام في مسائل الالتزام، للحطاب الصغير، ص54.

(3) تحرير الكلام في مسائل الالتزام، ص54.

الالتزام المعلق على غير فعل الملتزم والملتزم له، وجعل الخاتمة للحديث عن مسائل إسقاط الحق قبل وجوبه، ومسائل الشروط المخالفة لمقتضى العقد.

ويُعدّ كتاب «تحرير الكلام في مسائل الالتزام»، من المصنفات الأوائل في هذا الباب، فلم يطرق هذا الباب من التصنيف قبل الحطّاب الصغير أحد من العلماء فيما ذُكر، فهو أول من تعرض لجمع مسائل هذا الباب في كتاب مستقل، فكان الكتاب فكرة لعالم من علماء المالكية الليبيين، وقد أفاد من هذا الكتاب جمع من الفقهاء، وبتأليفه فُتِح الباب أمام الباحثين، كما قال المصنف نفسه: "قصدت أن أفتح الكلام في هذا الباب، فربما يأتي شخص بيّن ما في كلامي من خطأ أو صواب، ويضُمّ إلى ما ذكرت مما شاكله من المسائل، فتحصل بذلك الفائدة للمستفيدين، ويتحرر بذلك الصواب للمسترشدين"[1] ؛ فكان تصنيفه خدمة عظيمة للمذهب المالكي.

المطلب الثالث- كتاب «القول الواضح في بيان الجوائح»:

مؤلف الكتاب الشيخ يحي بن محمد الحطّاب، ويعدّ مصنّفه بتصنيفه رائد نظرية الجوائح في الفقه الإسلامي، اعتمد مصنّفه في تصنيفه على حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: "أَنّ النّبِيّ ﷺ أَمَرَ بِوَضْعِ الْجَوَائِحِ"[2]، وحديث جابر أيضا، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لَوْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا، فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ؟"[3]، أما منهج الشيخ يحي الحطّاب في تأصيل هذه النظرية، فهو المنهج الذي استخدمه والده في التأصيل والتنظير، فإنه يُكثِر النقول عن أُمَّات الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، وذلك لغرض جمع المسائل، والكشف عنها في مظانها من كتب السلف، ثم تحرّي نسبة

(1) تحرير الكلام في مسائل الالتزام ، ص66- 67.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: وضع الجوائح، برقم: 1554.

(3) أخرجه مسلم في المصدر نفسه.

الأقوال إلى أصحابها، وقد جاءت مادة هذا الكتاب في خمسة فصول على النحو الآتي:

- الفصل الأول- في معنى الجائحة.
- الفصل الثاني- في حكم الجائحة، وأصل وجوبها.
- الفصل الثالث- في معرفة ما هو جائحة مما ليس بجائحة.
- الفصل الرابع- ما توضع فيه الجائحة مما لا توضع فيه.
- الفصل الخامس- في مقدار الجائحة، وكيفية اعتبارها[1].

ومما يدلّ على أهمية الكتاب أن مصنّفه أرسى مبادئ نظرية الجوائح، ووضع أسسَها، وحاز قصب السبق في الكتابة فيها، فكان عمدة لكل من كتب في الجوائح من المالكية بعده، وأشار إليه عدد من العلماء، ومن ذلك قول ميارة الفاسي، وهو يتكلم عن مسألة من مسائل الجوائح: "من أراد تتبع مسائل هذا الفصل فعليه بتأليف الإمام الحطّاب في مسائل الجوائح، المسمى بـ(القول الواضح في مسائل الجوائح)"[2]، وقد أسدى يحي الحطّاب بمصنفه هذا، وبغيره من مصنفاته خدمة جليلة للمذهب المالكي.

المطلب الرابع- كتاب «إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج»:

مؤلف الكتاب الشيخ يحي بن محمد الحطّاب، وهو من الكتب الفريدة في بابه، جمع فيه مصنفه ما يتعلق بأفعال الحجاج والمعتمرين، بأسلوب مختصر، وعبارة دقيقة، وتدرُّج في الطرح، واعتمد في تصنيفه على أُمَّات المذهب المالكي، لا سيما كتاب والده "مواهب الجليل شرح مختصر خليل"، فكان هذا المصنَّف أصلا في هذا الباب، والذي دعا المصنِّف لتصنيفه، تعقبه لما فات والده في مصنَّفه، مع حسن ترتيب للأبواب، يتجلى ذلك فيما ذكره في مقدمته بقوله: "وبعد فإنّ المنسك المسمى «هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج» تأليف الوالد محمد

(1) الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ناصر الدين محمد الشريف، ص174.

(2) الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، 1/ 305.

ابن محمد الحطّاب، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان، وأسكنهما فسيح الجنان، صغر حجمًا، وغزر من مسائل الإحرام علمًا، فحوى بيان أحكامه، وإيضاح مسائله وأقسامه...، إلا أنه ظهر لي أنّ من ليس عنده حفظ لمسائل الإحرام، ولا كثرة ممارسة لها ولا إلمام، ربما يصعب عليه عند إرادة الكشف على شيء من مسائله، هل هو واجب؟ أو سنة؟ أو مستحب؟ أو مكروه؟ أو حرام؟، وهل يترتب عليه بسبب فعل ذلك أو تركه هدي، أو فدية؟ أن يصل إلى المطلوب والمرام إلا بعد تعب، بسبب مراجعة ما فيه من كثرة الأقسام"[1].

أما منهج مصنفه فيه فإنه اعتمد على كتاب والده «هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج»، فإنه قال في مُستهلّ كتابه بعد أن ذكر كتاب والده: «التزمت أني لا أترك شيئا من مسائله وتقييداته، ولا من فوائده ونكته وتنبيهاته، ولا أعدل غالبًا عن ألفاظه وعباراته، وزدت فيه بعض فروع مهمة» [2]، ولم يهتم المصنف بذكر الأدلة الشرعية للمسائل، ولعلّ ذلك لوضوح أدلتها، ولا يكتفي بذكر القول المشهور أحيانا، -بل يذكر القول المخالف للمشهور- ومن قال به من المالكية، وعرّف ببعض المصطلحات اللغوية المتعلقة بمناسك الحج.

وقد حظي الكتاب بشروح من أهل العلم، مما يدل على قيمته ومكانته العلمية، ومن هذه الشروح: شرح الشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري، وشرح الشيخ محمد الحسن البناني؛ فالكتاب من الآثار الليبية التي أسدت خدمة جليلة للمذهب المالكي.

ولعلّ هذا الذي ذكرته بعض جهود هذه الأسرة الحطّابية الليبية في خدمة المذهب المالكي، وإلا فهناك غير هذه الآثار، منها: مؤلفات الشيخ محمد الحطّاب الصغير غير ما سبق ذكره، فقد جاء في ترجمته أنه: «شرح مناسك خليل شرحًا

(1) إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج، يحي الحطّاب، ص98- 99.
(2) المصدر نفسه، ص99.

حسنًا...، ومناسك سماه «هداية السالك المحتاج لبيان فعل المعتمر والحاج[1]»، وشرح رجَز ابن غازي في نظائر الرسالة، سماه «تحرير المقالة»"[2]، ومن آثار الأسرة الحطّابية: شرح مختصر خليل للشيخ بركات بن محمد، قال التنبكتي في ترجمة بركات: "ألف «المنهج الجليل في شرح مختصر خليل» في أسفار أربعة"[3]، وللشيخ يحي الحطّاب مصنفات نافعة في بابها غير ما مر ذكره، فقد جاء في ترجمته أنّ "له تآليف في الفقه، والحساب[4]، والمناسك، وفي خصوص نوازل الحُبُس"[5]؛ فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع درجاتهم في عليين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فأرى أن البحث حقق هدفه المنشود، وهو التعريف بأعلام أسرة الحطّاب في القرن العاشر الهجري، وأبرز جهودهم في خدمة المذهب المالكي، من خلال كتبهم وعلمهم الذي خلفوه في الأمة، وفي ختام هذا البحث يصل الباحث للنتائج الآتية:

1- أن الاجتهاد الفقهي الليبي كما كان اجتهادًا فرديًا، كان أيضًا أسريًّا، كما في الأسرة الليبية الحطّابية.

(1) مصدر هذا المخطوط: المكتبة الأزهرية، رقم: 2531، وعدد أوراقه: 73 ورقة، ويوجد به نقص بآخره.

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص592.

(3) المرجع نفسه، ص150.

(4) منها: وسيلة الطلاب في علم الفلك بطريق الحساب، مصدر المخطوط: المكتبة الأزهرية، رقم: (771 فلك وميقات)، ومنها: مختصر سلك الدرين في حل النيرينّ: واستخراج الأهلة وحل العقدتين، جامعة ميتشيغان، رقم: 1591.

(5) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/ 404.

2- أن أسرة الحطّاب في القرن العاشر كانت أسرة ليبية علمية، لم يقتصر العلم فيها على الحطّاب الصغير.

3- أن هذه الأسرة تركت مصنفات نافعة في خدمة المذهب المالكي، لا يزال الفقهاء مقبلون عليها تَعَلُّمًا وتعليمًا.

4- أن علماء الأسرة الحطّابية علماء منصفون غير متعصبين، فقد انتقد الحطّاب الصغير ما وجده في الشروح السابقة لشرحه، مع اعترافه بقدر مؤلفيها وإجلالهم، وانتقد يحي الحطّاب أباه في بعض المسائل، مع الاعتراف بفضله وعلمه.

5- أن من أفراد الأسرة الحطّابية من كان رائدًا لنظريات فقهية كبرى، فالحطّاب الصغير رائد نظرية الالتزام، حيث لم يُسبق إليها، ويحي الحطّاب رائد نظرية الجوائح.

أما التوصيات التي يوصي بها الباحث فهي كالآتي:

1- العناية بإبراز جهود الأسرة الحطّابية، وتحقيق ما تركوه من تراث مخطوط.

2- السعي في معرفة الجهود الأسرية العلمية، التي سار فيها الأبناء على درب الآباء في العلم والتحصيل، كما هو الشأن في أسرة الحطّاب.

والحمد لله تعالى الذي وفق إلى إبراز بعض جهود هذه الأسرة الليبية، وأسأله سبحانه التوفيق والقبول والسداد في القول والعمل.

==========

مصادر البحث ومراجعه

1- الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، محمد بن أحمد ميارة، دار المعرفة، (د. ط).

2- إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج، يحي بن محمد الحطّاب، تح: محمد خميس بامؤمن، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، السعودية، ط1، 1431هـ.

3- أعلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط3، 2004م.

4- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط15.

5- تحرير الكلام في مسائل الالتزام، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطّاب الصغير، تح: عبد السلام محمد الشريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ.

6- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

7- الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ناصر الدين محمد الشريف، دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999م.

8- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ.

9- شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

10- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ط).

11- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد بن محمد الغزي، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

12- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ= صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط).

13- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطّاب الصغير، دار الفكر، ط3، 1412هـ.

14- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000م.